

خلفية التقارب

بين اللغتين الفارسية والعربية

عبد الرحمن العلوي
كاتب وأديب

اللغة الفارسية لغة حية مستعملة في كثير من مناطق القارة الآسيوية لاسيما في إيران وأفغانستان وهي لذلك تسمى فرنسية الشرق لانتشارها في الشرق انتشار الفرنسية في الغرب.

أورد ياقوت الحموي ان كلام الفرس قديماً كان يجري على خمسة أسنة وهي: الفهلوية (البهلوية)، والدرية، والفارسية، والخوزية، والسريانية. فأما الفهلوية فكان يجري بها كلام الملوك في مجالسهم، وهي لغة منسوبة الى «فهلة»، وهو اسم يقع على خمسة بلدان هي: اصبهان (اصفهان)، والري، وهمدان (همدان)، وماه نهاوند، وأذربيجان (آذربايجان)^(١). كما نقل ياقوت الحموي عن ابن المقفع قوله ان بلاد الفهلويين سبعة هي: همذان، وماسيزان، وقم، وماه البصرة، والصيمرة، وماه الكوفة، وقرميسين، وليس الري، واصبهان، والقومس، وطبرستان، وخراسان، وسجستان، وكرمان، ومكران، وقزوين، والديلم، والطالقان من بلاد الفهلويين^(٢).

خوزستان وبها كان يتكلم الملوك والأشراف في الخلاء وموضع الاستفراغ وعند التعري للحمام والأبزن^(٣) والمغتسل. واما السريانية فهي لغة منسوبة الى أرض سورستان وهي العراق وهي لغة النبط. وذكر أبو الحسين محمد بن القاسم التميمي النسابة ان الفهلوية منسوبة الى فهلوج بن فارس^(٤).

وعن المتحدثين باللغات الاخرى اعلاه، قال ياقوت ايضاً بأن الفارسية كان يجري بها كلام الموابذة ومن كان مناسباً لهم، وهي لغة أهل الفرس. واما الدرية فهي لغة مدن المدائن وكان يتكلم بها من بباب الملوك. وهي منسوبة الى حاضرة الباب والغالب عليها من بين لغات أهل المشرق لغة أهل بلخ. وأما الخوزية فهي لغة أهل

المناطق. ويؤكد الباحث «فراي» على ان الفارسية الحديثة قد ظهرت في القرن التاسع الميلادي شرقي ايران بالحروف العربية والكلمات العربية، ونضجت في بخارى عاصمة السامانيين^(٩).

تأثير الفتح الاسلامي

من الطبيعي ان يترك الفتح الاسلامي لايران واقبال اهلها على الدين الاسلامي الذي وجدوا فيه بغيتهم وأهدافهم، الكثير من الآثار ويُحدث فيها العديد من التحولات الأساسية المهمة. ومن النتائج التي أفرزها دخول ايران في الاسلام ما يلي:

١ - اقصاء الديانة الزرادشتية والتشرف بالدين الاسلامي.

٢ - نفوذ المفردات العربية الى اللغة الفارسية واقصاء اللغة البهلوية. وقد أقبل الايرانيون على اللغة العربية والعلوم والمعارف الاسلامية، وانهمكوا في التأليف والترجمة. وأصبح العديد من الايرانيين من كبار علماء اللغة والفقه والتفسير والادب. واستخدموا في كتاباتهم الفارسية وحواراتهم الكثير من المفردات العربية لاسيما الدينية.

٣ - اقصاء الخط البهلوي تدريجياً وحلول الخط العربي محله.

٤ - تغيير اسلوب الشعر الفارسي وأخذ شعراء الفارسية ببحور الشعر العربي والعروض والبديع، واقتباس مضامين وأغراض الشعر العربي لاسيما الجاهلي^(١٠).

وأول من كتب النثر باللغة الفارسية الحديثة البلعمي مترجم تاريخ الطبري. وأول من كتب الشعر بها الرودكي، والدقيقي، والفردوسي، والمنوجهري وناصرخسرو.

تطور اللغة الفارسية وامتدادها

منذ القرن الخامس الهجري امتد نطاق اللغة

وحقيقة الأمر هي ان اللغة الفارسية تُطلق على عدة لغات متداولة في ايران منذ الهجرة الآرية والى يومنا هذا، وتعد احدى اللغات «الهندو - اوروبية»^(٥).

واللغة الفارسية القديمة عبّرت عن نفسها بعدة لغات ولهجات يختلف بعضها عن بعض اختلافاً شاسعاً كاللغة المادية وهي لغة الماديين الذين أنشأوا دولتهم في همدان حوالي ٧٠٠ ق. م.، واللغة الافستائية التي كُتب بها كتاب «الأفستا»، وهو الكتاب المقدس لدى الزرادشتية. وورد الشكل القديم للأفستائية في «الغاثات»^(٦)، وهي خمسة أناشيد دينية قيل ان زرادشت قد أنشدها^(٧).

وفضلاً عن الفارسية القديمة، هناك أيضاً الفارسية الوسطى والفارسية الحديثة. وأما ابرز اللغات الايرانية الوسطى فهي السكائية، والسغدية، والخوارزمية، والبهلوية الأشكانية، والبهلوية الساسانية.

وكانت البهلوية الساسانية هي اللغة الرسمية، ولغة الأدب والسياسة والدين في ايران، حينما فتح المسلمون ايران^(٨).

وظهرت الفارسية الحديثة في ثوب عربي بعد الفتح الاسلامي، فأخذت تكتب بحروف عربية ودخلت اليها الكثير من المفردات العربية واصطبغت بالصبغة العربية الاسلامية.

الفارسية الحديثة والتي تُعرف بالفارسية «الدريه» أيضاً، تُعد منذ ما يقرب من ١١٠٠ عام وحتى يومنا هذا اللغة الرسمية والأدبية في ايران. وحاول بعض علماء اللغة ان يعدها جزءاً من البهلوية الساسانية لوجود بعض التماثل اللفظي والنحوي بين اللغتين، غير ان الدراسة العميقة في هذا المضمار تؤكد على عدم وجود مثل هذه الصلة. فاللغة الدرية كانت بالأساس لهجة أدبية عامة انتشرت مع صدر الاسلام في المناطق الشرقية من ايران. ولهذا السبب وقعت تحت التأثير اللغوي والصرفي والنحوي للهجاء المتداولة في تلك

الفارسية الحديثة الى البلدان والدول المحاذية لايران كشبه القارة الهندية وآسيا الصغرى^(١١).

وتعرفت شبه القارة الهندية على اللغة الفارسية والشعر الفارسي عن طريق الغزنويين، لاسيما بعد الهجمات المتكررة التي شنّها سبكتكين (ت ٣٨٧ هـ) وابنه محمود (ت ٤٢١ هـ). وترسخت في عهد الغوريين (٥٤٣ - ٦١٢ هـ / ١١٤٨ - ١٢١٥ م)، وامبراطورية مغول الهند العظماء^(١٢) (١٥٣٦ - ١٨٥٨ م (١٢٧٥ هـ).

ونفذت الفارسية الحديثة الى آسيا الصغرى في بداية العهد السلجوقي، حينما كانت تُحكم من قبل امراء يخضعون لسلطين ايران بشكل مباشر. كما تعد فترة الحكم العثماني (١٢٨١ - ١٩٢٣ م) من اخصب الفترات التي انتشرت فيها الفارسية في آسيا الصغرى وظهور شعراء وكتاب بالفارسية.

وحول التاريخ الدقيق لظهور النثر باللغة الفارسية الحديثة، فلا يمكن ابداء رأي قاطع، لأن الآثار المكتوبة التي وصلت الى ايدينا تعود الى النصف الأول من القرن الرابع الهجري. ومنذ هذا القرن وحتى مطلع القرن السابع الهجري برز العديد من كبار الكتاب، فضلاً عن مشاهير الشعراء، وصنفت أهم الآثار الأدبية الفارسية، وظهرت قصائد الحماسة والعرفان والغزل وما الى ذلك. لقد اكتسبت الفارسية الهوية الثقافية الاسلامية خلال العقود الاولى من استنارة بلاد فارس بالاسلام. وأصبحت هذه اللغة، وبعد أكثر من الف عام من الجهود الدائبة والحركة الثقافية المستمرة التي نهض بها مفكرون وعلماء وكتاب اسلاميون ايرانيون في مراكز اسلامية مهمة كبلخ، وبخارى، وخراسان، وخوارزم، وتأليف مئات المؤلفات في مختلف العلوم القرآنية، والحديث، والأدب، وأنواع العلوم والفنون، مصدراً لنشر الثقافة الاسلامية الى جانب اللغة العربية، حتى بات بإمكاننا ان نقول بجرأة ان الثقافة الاسلامية لا يمكن ان تُفهم بجميع ما فيها من عناصر جمالية، ما لم تُفهم

العربية والفارسية معاً^(١٣).

ومن هنا تتجلى لنا أهمية اللغة الفارسية بعد أن أصبحت احدى وسائل التبليغ للاسلام في المراكز البعيدة عن المناطق العربية. وقد انتشر الاسلام بواسطتها في شبه القارة الهندية وحتى اقصى نقاط آسيا حتى ان أغلب السلالات التي حكمت الهند كالغزنوية والغلامية والخلجية^(١٤) قد أقامت ثقافتها الدينية على أساس الفارسية.

انفتاح الفارسية على العربية

بعث تغلغل الاسلام الى قلوب الايرانيين وأفكارهم على تفجر الطاقات العلمية والفكرية والأدبية الهائلة، سيما بعد ما وجدوا انفسهم منجذبين الى هذا الدين، فأقبلوا عليه بشوق ولهفة وشعروا بأنه الفجر الذي كانوا ينتظرون طلوعه والأمل الذي يحقق طموحاتهم في حياة حرة كريمة. وكان تهاافتهم على تعلم العربية والقرآن مثيراً للانتباه حتى أصبح الايرانيون وفي فترة قصيرة حملة لواء الاسلام والدعوة اليه ونشره في ارجاء المعمورة، وأصبح الكثيرون منهم من اكابر علماء العربية والأدب العربي والفقهاء والتفسير.

وأسفر هذا التحول الكبير والتفاعل العظيم بين الايرانيين والعقيدة الاسلامية عن اقصاء الفارسية البهلوية المعقدة - كما أشرنا الى ذلك - وظهرت الى الوجود لغة جديدة حية متأثرة بالاسلام والعربية.

دخلت الى هذه اللغة الجديدة وكما ذكرنا الكثير من المفردات العربية والمصطلحات الاسلامية. ولم يكن ذلك الدخول دفعة واحدة وانما حدث بشكل تدريجي ومع تعاظم الانفتاح على العربية، وازدياد التلاحم مع الاسلام، وتعمق اواصر الاخوة بين المجتمعين الفارسي والعربي.

والأمر الآخر الذي دفع بالاييرانيين الى هجرة اللغة البهلوية والتخلي عنها نهائياً هو أنها - وفضلاً عن

مخارج الحروف المأخوذة عن العربية، فهم يلفظون الـ (ث) والـ (ص) مثل الـ (س)، ويلفظون الـ (ق) مثل الـ (غ)^(١٧)، ويلفظون الـ (ط) مثل الـ (ت) ويلفظون الـ (ض) والـ (ظ) مثل الـ (ز) ويلفظون الـ (ع) مثل الـ (أ)، ويلفظون الـ (ح) مثل الـ (ه).

ومن الجدير بالذكر ان الكلمات الفارسية التي فيها همزة وسطية أو همزة نهائية، مأخوذة من العربية، لأن الهمزة في الفارسية لا تقع إلا في اول الكلمة^(١٨).

والكلمات العربية التي تنتهي بالهاء، فانها تستخدم في الفارسية بدون وضع النقطتين على الهاء وبدون لفظ الهاء أيضاً. مثل: جملة، وخيمة، ومسامحة، ومضايقة، ونقشه. وقد تُكتب الهاء على شكل تاء ملفوظة مثل: مرحمت، وشفقت، وتسليت، وسبقت ... الخ^(١٩).

ويرى البعض ان ثمانية من الحروف الفارسية الحالية دخيلة على الفارسية من العربية وهي: ث، ح، ص، ض، ط، ظ، ع، ق. وأن كل كلمة فارسية يوجد فيها حرف من هذه الحروف الثمانية، ليست فارسية الأصل. وهناك اربعة حروف فارسية لا نظير لها في العربية وان كانت تستخدم في اللهجات العربية العامية، وهي: پ، چ، ژ، گ.

ومن المفردات العربية التي تغير معناها في الفارسية تغيراً كبيراً مفردة «موقع». فهي تدل في العربية على المكان. اما في الفارسية فتدل على الزمان. فاذا قيل في الفارسية «موقع ظهر» يراد بذلك «وقت الظهيرة».

والحقيقة هي ان الكلمات العربية الداخلة في اللغة الفارسية اشبه ما تكون بالقبائل العربية التي هاجرت الى ايران بعد الفتح الاسلامي واستقرت فيها، حيث أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الشعب الايراني.

وتشير الدراسات اللغوية الى ان نفوذ الكلمات العربية الى الفارسية قد تم في بادئ الأمر على

صعوبتها وتعقيدها - كانت عاجزة عن تلبية الحاجات الجديدة التي ولدت بفعل الاسلام، وقاصرة عن التعبير عن الأفكار المستمدة من هذا الدين الالهي.

ومن الطبيعي وفي ظل مثل تلك الظروف والقفزة الفكرية والعقائدية العظيمة التي شهدتها الشعب الايراني، ان تتأثر الفارسية بالعربية وتأخذ منها ما يعززها وتشد به أزرها ويخدمها في اداء رسالتها الجديدة ودورها العظيم الى جانب اللغة العربية. وقد تقوت الفارسية بسبب هذا التأثير الايجابي، وأصبحت اكثر حيوية، وأصلب عوداً، وأروع جمالاً، وأخطر دوراً، وأعظم تأثيراً. ليس هذا فحسب، بل «ان العربية قد أغنت الفارسية اغناءً كثيراً مما جعلها قادرة على انشاء أدب منفتح وخصوصاً في الشعر. فقد بلغ الشعر الفارسي أوج جماله وروعه في أواخر القرون الوسطى. وسلكت الفارسية الجديدة سلوكاً كان يأخذ بزمامه جماعة من الفرس المسلمين الماهرين بالعربية قبل ان يدخلوا حلبة الأدب الفارسي الجديد»^(١٥).

وتأثير اللغة العربية على الفارسية لم يقتصر على المفردات، بل دخلت الى الفارسية بعض قواعد العربية، والقواعد الصرفية، ونظام العروض العربي والأوزان الشعرية. وقد يحالفنا الحظ للتحدث عن التأثير الشعري في مقال مستقل^(١٦).

ومما يجدر ذكره ان بعض المفردات والمصطلحات العربية قد دخلت الفارسية بعد ان اجريت عليها بعض التغييرات والتعديلات التي صاغتها بما يتلاءم وقواعد الفارسية. فمثلاً قد تُركت كافة مخارج الحروف العربية عدا تلك التي تتشابه مع مخارج الحروف الفارسية. كما حُذفت أجزاء من اوائل وأواخر بعض المفردات فأخذت لا تعطي المعنى الذي لديها في العربية. وتحولت بعض الأفعال الى صفات وأسماء، وعملت بعض صيغ الجمع وكأنها كلمات مفردة.

والحقيقة هي ان المتكلمين بالفارسية لا يراعون

صورتين:

وأسفر الانفتاح الإيراني الإسلامي على اللغة العربية عن اقبال بعض الشخصيات الإيرانية على الكتابة باللغة العربية ومنهم^(٢٣):

الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ)، من مدينة طالقان الإيرانية، وأصبح وزيراً لمؤيد الدولة البويهية، ومن ثم اخيه فخر الدولة. وكان يكرم الشعراء والكتاب، ويهتم بالأدب العربي اهتماماً كبيراً. ومن أهم آثاره التي كتبها باللغة العربية كتاب «المحيط في اللغة».

بدیع الزمان الهمداني (ت ٣٩٨ هـ) وُلد بهمدان في إيران وانتقل إلى خراسان وجرجان. ألف العديد من الكتب بالعربية أشهرها «المقامات» و«الرسائل».

ابن مسكويه (ت ٤٢١ هـ) وكان مفكراً وأديباً وذا نفوذ عظيم في البلاط البويهية. من مؤلفاته العربية «تجارب الأمم» و«تهذيب الاخلاق».

أبو ريحان البيروني (ت ٤٤٠ هـ)، عالم إيراني شهير برز في مختلف العلوم والتاريخ والأدب. ومن مؤلفاته العربية «الآثار الباقية من القرون الخالية» و«القانون المسعودي في الهيئة والنجوم» و«تاريخ الهند».

ابن سينا (أبو علي الشيخ الرئيس) (ت ٤٢٨ هـ)، من مشاهير العالم الإسلامي ومفخره. وُلد في بخارى وتوفي في همدان. برع في الطب والنجوم والرياضيات والفلسفة والمنطق. من مؤلفاته العربية: «القانون في الطب»، و«الشفاء»، و«الاشارات والتنبيهات»، و«النجاة». له قصيدة شهيرة في النفس مطلعها:

هبطت اليك من السحل الأرفع

ورقاء ذات تعزُّرٍ وتمنُّعٍ

وصفوة القول هي ان اللغة العربية قد نفذت الى الفارسية ليس بمفرداتها ومصطلحاتها فحسب، بل بخطها ايضاً. فقد وجد الإيرانيون أن الخط العربي اسهل بكثير من الخط البهلوي وانه يمتلك القدرة للتعبير عن لغتهم ورسما بجدارة.

١ - استبدال المفردات الفارسية الأصعب بالمفردات العربية الأسهل، أو حينما يكون استخدامها في الفارسية سبباً من أسباب تطویرها وازدهارها.

٢ - ادخال المفردات العربية التي لا يوجد ما يعادلها في الفارسية، ويشمل هذا النوع المفردات والمصطلحات الدينية بشكل خاص وبعض المصطلحات السياسية والعلمية والفكرية.

ويعتقد البعض ان كافة المفردات العربية التي استُخدمت في شعر القرن الرابع الهجري، هي من نوع المفردات التي نفذت الى الفارسية في اواخر القرن الثالث الهجري. غير انها كانت اكثر استعمالاً في الشعر منها في لغة النثر والمخاطبة^(٢٤).

ومنذ أواخر القرن الرابع الهجري حينما انتشرت الثقافة الاسلامية وتأسست لذلك مدارس في مختلف نقاط إيران، وغلبت الديانة الاسلامية على سائر الأديان، واجهت مقاومة المجوس في إيران هزيمة مصيرية نهائية. وبدأت تتجلى الثقافة الفارسية بالصبغة الاسلامية وتأسست أسس التعليم على الأدب العربي والدين الاسلامي، حينذاك اكثر الكتاب والشعراء من نقل الألفاظ العربية وقللوا من الكلمات والأمثال والحكم السابقة في النثر والشعر. ولذلك يُلاحظ ورود حكم بوذرجمهر والأفستا وزرادشت في شعر الفردوسي والدقيقي وغيرهما من شعراء العهد الساماني وأوائل العهد الغزنوي اكثر منها في شعر العنصرى والفرخى والمنوچهرى في القرن الرابع واوائل القرن الهجري الخامس^(٢٥).

وازداد التلاصق بين اللغتين الفارسية والعربية، وكثر استعمال المفردات والمصطلحات العربية في النثر، مضافاً الى تداولها بين الشعراء، بل ودخلت في هذه الفترة حتى تلك المفردات والعبارات العربية التي لا يبدو دخولها ضرورياً ولم تستدع الحاجة اليها^(٢٦).

تأثر العربية بالفارسية

مما لا شك فيه انه لا توجد على أرضية الواقع لغة خالصة ونقية كما قد يتصور البعض. فاللغة الحية هي تلك اللغة التي تؤثر وتتأثر، وتعطي وتأخذ، وتترك بصماتها على اللغات الاخرى، وتترك تلك اللغات بصماتها عليها. وبدون عملية التأثير والتأثر لا يصبح بإمكان أية لغة ان تواكب التطور الذي يطرأ على مختلف مرافق الحياة الاجتماعية، وتبقى عاجزة عن التعبير عما يستجد من مفاهيم ومعان وتصورات. وانطلاقاً من ذلك يبدو هذا التأثير المتبادل جلياً بين اللغتين العربية والفارسية.

ويعرب أدبي شير رئيس أساقفة الكنائس الكلدانية في كتابه المسمى «الألفاظ الفارسية المعربة» عن دهشته لنفوذ اللغة الفارسية الى هذا الحد في اللغة العربية رغم ان الفارسية من فصيلة اللغات الآرية، في حين لم تؤثر في العربية لغات سامية من فصيلة العربية نفسها كالسريانية والرومية والقبطية والحبشية، بينما الارتباط اللغوي - كما نعرف - بين اللغات ذات الأصل الواحد أسهل من اللغات ذات الأصول البعيدة^(٢٤).

وليس بمقدور أحد - ومهما بلغ تعصبه الوطني - ان ينكر سبب هذا التقارب الرئيس والمتمثل بالاسلام. فقد قارب هذا الدين الالهي بين اللغتين وعمل على احداث هذا التأثير المتبادل.

ورغم ذلك يُستشف من دراسة الكتب العربية والفارسية أن بعض المفردات الفارسية قد دخلت الى دائرة اللغة العربية قبل الاسلام، ولكن يصعب تحديد هذه المفردات وذلك للتغيرات الكبيرة التي طرأت على الفارسية. وكمثال على صعوبة ذلك التحديد يضرب بهرام فره وشي استاذ اللغات القديمة في جامعة طهران مثلاً فيقول بأن كلمة «ناهد» التي تعني اليوم بالعربية الفتاة الكاعب، تعطي ذات المعنى في كتاب الايرانيين

القدماء أي «الأفستا». ويتساءل: هل يعني هذا ان العرب قد أخذوها عن الفارسية ام ان الفرس اخذوها عن العربية؟^(٢٥)

وورد أن المفردات العربية تمتاز عادة ببعض الخصائص التي يمكن من خلالها تشخيص المفردات الفارسية المعربة الى حد ما ومنها^(٢٦):

في مفردة عربية واحدة:

- لا يأتي حرف الـ(ج) وحرف الـ(ق) معاً.

- لا يأتي حرف الـ(ص) مع حرف الـ(ج).

- لا يأتي حرف الـ(ط) مع حرف الـ(ج) إلا اذا كانت

المفردة اسماً لشخص أو موضع.

- لا يأتي حرف الـ(ن) بعد حرف الـ(ز).

- لا يأتي حرف الـ(ز) بعد الـ(د) أو الـ(ب) أو الـ(س)

أو الـ(ت).

- لا يرد حرفان متشابهان بينهما ألف.

مما سبق نفهم ان المفردة العربية اذا وُجدت فيها احدي الخصائص أعلاه، فهي معربة وليست أصيلة.

وأول من وضع كتاباً مستقلاً في المفردات الفارسية التي دخلت اللغة العربية هو ابو منصور موهوب بن احمد بن محمد بن الخضر المعروف بالجواليقي (ت ١١٤٤ م)، ويدعى كتابه: «المُعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم»، ويحتوي على ٧٠٠ مفردة بعضها سرياني ونبطي وبربري وقبطي وحبشي، إلا ان معظمها فارسية. وقد استشهد الجواليقي لأغلب هذه المفردات بالشعر أو الحديث.

وهناك ايضاً كتاب «شفاء الغليل» لشيخ الاسلام شهاب الدين أحمد الخفاجي الكوفي الذي كان يعيش في القرن ١١ هـ ولا يختلف هذا الكتاب عن معرب الجواليقي الا في اضافة بعض المفردات الفارسية العامية التي وردت العربية في العصر العباسي.

والكتاب الثالث هو «الألفاظ الفارسية المعربة» تأليف ادبي شير رئيس أساقفة الكنائس الكلدانية. طبع

والطاحن، والابريق، والديدبان، والرصاص، والميزاب، واللوبياء، والفالوج. فقد قضت هذه الألفاظ أو كادت تقضي على نظائرها العربية وهي: الحواجم، والعبهر، والسمسق، والمشموم، والفرصاد، والحدج، والاثط، والمهراس، والمقلي، والتامورة، والعين، والصرفان، والمثعب، والدجر، والميرت^(٢٧).

الایرانیون والأدب العربي

عرف تاريخ العلوم العربية والاسلامية اعلاماً من الایرانیين، أو ما يعبر عنه بعض الكتاب بالمتعربین.

فعلم النحو العربي يدين لسبويه، فضلاً عن نحاة ولغويين آخرين من اصل ايراني كالكسائي، والسجستاني، والسيرافي، وابن دستوریه، وابي علي الفارسي، والسرخسي، والكرماني، والرازي، وابن خالويه.

كما ان القراء السبعة الذين انتهت اليهم الأمة في قراءة القرآن، ورجال الطبقة الاولى من القرآن الذين تسلسل فيهم السند الى الأئمة السبعة، اكثرهم من أصل فارسي. وتقرأ في طبقات المفسرين الكثير من الاسماء الایرانية كالنيسابوري، والبليخي، والطبري، وغيرهم^(٢٨).

لاشك في ان الایرانیين لعبوا دوراً بارزاً في ازدهار اللغة العربية لاسيما على صعيد الأدب العربي. وقد قال الاستاذ الشهيد مرتضى المطهري: «لم يخدم اللغة العربية أحد كما خدمها الایرانیون»^(٢٩). وهذا نابغ ولا ريب من انهم لم يكونوا ينظرون الى العربية كلغة اجنبية، بل يعتبرونها لغة اسلامية اممية تتعلق بجميع المسلمين في العالم كافة.

ورغم حصول نفر من الادباء الایرانیين على مناصب مهمة في العصر الاموي كجبله بن سالم الذي كان كاتباً لدى هشام بن عبد الملك، وعبد الحميد الكاتب الذي اصبح كاتباً عند مروان بن الحكم، إلا ان نبوغ

هذا الكتاب في بيروت عام ١٩٠٨ م. ومع انه يحتوي على مفردات اكثر من الكتابين السالفين إلا انه يعاني من أخطاء كثيرة.

وللمفكر العربي أحمد تيمور ملاحظات قيمة حول المفردات الفارسية المندمجة باللغة العربية وردت ضمن سلسلة من المقالات نشرتها مجلة «المجمع العلمي» بدمشق عام ١٩٣٢ م تحت عنوان «الألفاظ العباسية». ولبعض المستشرقين مقالات بشأن المفردات الفارسية المعربة كالتی وردت في المستدرك لدوزي.

والذي يستقطب الانتباه في جميع تلك الكتب والمقالات، انها تعاني من الخلل والاضطراب. فلم تسجل فيها الاصطلاحات الطبية والصيدلية والمعمارية والموسيقية. كما ان كتاب «المعرب» للجواليقي لم يدرج المفردات الأجنبية التي انتقلت الى العربية في العصر العباسي.

والأمر الآخر الذي يسترعي الالتفات مضافاً الى ما سبق هو أن عدم تبحر هؤلاء باللغة الفارسية قد أوقعهم في أخطاء كثيرة بما فيهم الفيروز آبادي مؤلف «معجم القاموس المحيط» رغم انه من أصل ايراني.

وصدر في عام ١٩٦٨ معجم بالمفردات المعربة يحمل عنوان «واژه های فارسی در زبان عربی»، أي «المفردات الفارسية في العربية» لمحمد علي الشوشتری، ويُعد أوسع معجم ظهر حتى اليوم في هذا المضمار. ويضم نحو ٢٨٠٠ مفردة. وهناك شك في ان تكون جميع المفردات التي اوردها ذات اصل فارسي لاستناده الضعيف أحياناً، أو لعدم ادلائه بدليل، أو لاعتماده على الحدس والظن.

والحقيقة هي ان بعض المفردات المعربة أخذ يتغلب على مرادفه العربي شيئاً فشيئاً حتى قذف به في زوايا النسيان. فمن ذلك الفاظ الورد، والنرجس، والياسمين، والمسك، والتوت، والبازنجان، والكوسج، والهون،

وهو أبو غالب عبد الحميد بن يحيى بن سعيد (ت. ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م)، ويُعد أول من أنشأ أسلوب الرسائل في الأدب العربي. ولم تكن للإنشاء العربي من قبله قواعد وقوانين خاصة، فكان أول من وضع قوانينه وقواعده، فأوضح متى يكون الاطناب ومتى يكون الايجاز، وعلم كيف يجب الابتداء بالحمد والاختتام بالدعاء أو أي شيء آخر يناسب المقصود.

قيل أنه كان معلماً للصبيبة قبل أن يشتغل بالكتابة في بلاط هشام بن عبد الملك. واصل عمله في عهد مروان الثاني الملقب بالحمار آخر الخلفاء الأمويين في الشام. قيل أنه قُتل آخر المطاف بأمر من مروان نفسه، وقيل أنه قُتل معه^(٣٢) في بوسير^(٣٣).

ويُعد عبد الله بن المقفع أول من أحدث تحولاً عظيماً في النثر العربي إذ كان على معرفة كاملة بالأدبين الفارسي والعربي.

انبرى إلى تعريب كتب مهمة عن الفارسية البهلوية مثل كليلة ودمنة، وكتاب التاج، وسير الملوك. واشتهر بأسلوبه الأدبي الرائع، وسهولة كلامه، وخلوه من الاطناب الممل. وكان يعتقد أن على الكاتب أن يختار الألفاظ السهلة الخالية من التعقيد، ويتجنب الألفاظ الركيكة غير الفصيحة. وظل الأسلوب الذي ابتدعه متداولاً بين الكتاب لفترة غير قصيرة. وقد قُتل عام ١٤٢ هـ على يد سفيان بن معاوية عامل العباسيين على البصرة متهماً بالزندقة.

وعلى صعيد تأثير الخطاطين الإيرانيين على الخط العربي نقول بايجاز: حتى نهاية العصر الأموي لم تعرف العربية خطوطاً كثيرة. أما في العصر العباسي فقد ظهرت خطوط جديدة بدخول الكتاب الإيرانيين إلى الأجهزة الحكومية، وظهر خطاطون كبار. فاخترع إبراهيم الشجري قلم الثلثين، وأخوه يوسف القلم الرئاسي أو قلم التوقيع، أما تلميذه إبراهيم الأحول فقد اخترع عدة خطوط كالنصف، والثلث، والمسلسل،

الإيرانيين في الإنشاء والشعر العربي وسائر الفنون الأدبية العربية قد تجلى بصورة واضحة في العهد العباسي لنفوذهم إلى جميع المؤسسات السياسية والإدارية والاجتماعية والعسكرية، وتقلدهم مناصب عليا كالوزارة والكتابة، واشتغالهم بالعلم والأدب.

وانفتحت آفاق جديدة وواسعة أمام الأدب العربي من خلال ترجمة الكثير من الكتب الفارسية القديمة إلى العربية على أيدي العديد من الشخصيات الإيرانية المتعربة، الأمر الذي ساعد على ازدهار الأدب العربي وتعرفه على انماط وأغراض لم يكن يعرفها من قبل. ومن بين الكتب التي تُرجمت خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى: خدينامه (سيرة ملوك الفرس)، وقصة الاسكندر، وبلوهر وبوداسف، وكتاب الصور، وقصة بهرام جوبين، وقصة رستم واسفنديار، وغيرها.

وهناك العديد من الشخصيات التي برزت على صعيد المترجمة عن الفارسية ومنها: جبلة بن سالم، وعبد الله بن المقفع، ونوبخت المنجم وولده موسى ويوسف، والحسن بن سهل المنجم، وأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، وإسحاق بن علي، ومحمد بن الجهم، وزادويه بن شاهويه، وعمر بن فرخان الطبري^(٣٤).

وكانت كتابة الرسائل في صدر الإسلام والجزء الأعظم من العصر الأموي، في غاية الايجاز. غير أن نفوذ بعض الكتاب الإيرانيين إلى الدواوين قد ساعد على تطور كتابة الرسائل والذي يُعد خطوة مهمة على طريق ازدهار الأدب العربي. ومن أوائل من وضع نظاماً لكتابة الرسائل هو جبلة بن سالم بن عبد العزيز، ويُعد من أقدم من ترجم عن البهلوية. ونسب إليه ابن النديم ترجمة قصتي «بهرام جوبين» و«رستم واسفنديار».

ويُعد عبد الحميد الكاتب ممن نبغ من الإيرانيين في الإنشاء في العصر الأموي. وقد بلغ درجة رفيعة من الفصاحة والبلاغة في الإنشاء حتى قيل فيه: «فُتحت الرسائل بعبد الحميد وحُتمت بابن العميد»^(٣٥).

خلفية التقارب بين اللغتين الفارسية والعربية

- ٢١ - مرتضى المظهري، مصدر سابق، ص ٩١.
 ٢٢ - د. ذبيح الله صفا، تاريخ الأدب الفارسي، ج ١، ص ١٥٤.
 ٢٣ - حسين فريور، تأريخ الأدب الايراني وتأريخ الشعراء، ص ١٣٠ - ١٣١.
 ٢٤ - محمد علي الشوشترى، معجم المفردات الفارسية في اللغة العربية، ص ٣.
 ٢٥ - نفس المصدر، ص ١٢.
 ٢٦ - نفس المصدر، ص ٣٢.
 ٢٧ - علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص ٢٠٢.
 ٢٨ - بنت الشاطي، لغتنا والحياة، ص ٦٥ - ٦٦.
 ٢٩ - الشهيد مرتضى المظهري، مصدر سابق، ص ٩٦.
 ٣٠ - راجع: ابن النديم، الفهرست، ص ١٦٤، ٣٤١ - ٣٤٢، ٤٣٩.
 ٣١ - ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٣٣.
 ٣٢ - جلال الدين همائي، تاريخ الأدب الايراني، ص ٣١٧.
 ٣٣ - لويس معلوف، المنجد في الأعلام، ذيل عبد الحميد الكاتب.
 ٣٤ - د. ذبيح الله صفا، تاريخ الأدب الفارسي، ص ١٥ - ١٥٥.

* * *

والرقاع. وكمل الخط العربي على يد تلميذي الأحول وهما محمد بن مقلة (ت ٣٢٨ هـ) واخوه الحسن بن مقلة (ت ٣٢٨ هـ)، وجميع هؤلاء الخطاطين من اصل ايراني^(٣٤).

الهوامش

- ١ - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ذيل كلمة «فهلو»، ص ٢٨١.
 ٢ - نفس المصدر.
 ٣ - كلمة فارسية، تُلفظ «آيزن» ومعناها: حوض صغير يستخدم للاستحمام ويُصنع عادةً من الحزف أو الحديد أو أي فلز آخر.
 ٤ - ياقوت الحموي، نفس المصدر.
 ٥ - د. ذبيح الله صفا، جولة في تاريخ اللغات والأدب الايراني، ص ٤.
 ٦ - gathas
 ٧ - د. ذبيح الله صفا، تاريخ الأدب الفارسي، ج ١، ص ١٢٩ - ١٣٠.
 ٨ - نفس المصدر.
 ٩ - مرتضى المظهري، الاسلام وايران، ج ١، ص ١٠١.
 ١٠ - راجع هذا المضمار: جلال الدين همائي، تاريخ الأدب الايراني، ص ٢٧٢ - ٢٧١.
 ١١ - د. ذبيح الله صفا، جولة في تاريخ اللغات والأدب الايراني، ص ٤٩.
 ١٢ - امپراطورية اسمها «بابر» وهو من أحفاد تيمورلنك، وعُرفت بمغول الهند لارتباط تيمورلنك من جهة امه بجنكيز خان، أشهر أباطرتها: بابر، وهمايون، وأكبر، وجهانغير، وشاهجهان، وأورنك زيب. آخر أباطرتها «مهادر شاه الثاني» وقد عزله الانجليز عام ١٨٥٨ م.
 ١٣ - نجيب مايل الهروي، دائرة اللغة الفارسية، ص ٧.
 ١٤ - السلالة الخنجية: اسم السلالة الثانية لسلطنة دهلي (١٢٩٠ - ١٣٢٠ م). اسمها جلال الدين فيروز، وأدخلت تغييرات اجتماعية وسياسية. من أعظم ملوكها علاء الدين محمد شاه. بلغت الهند الاسلامية في عهده النضج الثقافي فأصبحت دهلي مركزاً للفنانين والشعراء والصوفيين أمثال نظام الدين أولياء، وأمير خسرو، وخواجه حسن.
 ١٥ - مرتضى المظهري، مصدر سابق.
 ١٦ - د. ذبيح الله صفا، جولة في تاريخ اللغات والأدب الايراني، ص ٣٧.
 ١٧ - عبد العظيم قريب وآخرون، قواعد اللغة الفارسية (الأساتذة الخمسة)، ص ١١.
 ١٨ - نفس المصدر، ص ١٢.
 ١٩ - نفس المصدر.
 ٢٠ - د. ذبيح الله صفا، تاريخ الأدب الفارسي، ج ١، ص ١٥٢.